

المقدمة

ولد الأستاذ سليمان داود الحزامي عام ١٩٤٥م في الكويت، ونشأ في بيت فيه الكتاب. بدأ يحب القراءة منذ الصغر، أخذ حب القراءة من والده الذي توفي عام ٢٠٠٧م، وتعلم منه قراءة روايات الهلال، وكتب في الأدب العربي، ودواوين الشعر، وألف ليلة وليلة. يقول الحزامي في مقابلة مع برنامج (همسة القلم):

«فتحت عيني في بيت مثقف، والدي كان قارئاً ممتازاً تعلم في الكتاتيب، تعليماً ذاتياً، لكنني وجدت دواوين شعر، وروايات الهلال؛ فبدأت القراءة مبكراً، ولم يخل والدي في جلب الكتب، والمجلات، مثل: سمير، والسندباد، والمصور، وآخر ساعة، حتى إنني أتذكر والدي عندما صدرت مجلة العربي عام ١٩٥٨م، وقتها كنا نقطن في منطقة حولي، فكانت رحمها الله تذهب إلى الكويت كل شهر خصيصاً لتشتري لي مجلة العربي، لذلك استطعت تكوين أول مكتبة لي في البيت، وأنا في سن صغيرة، هذا بالإضافة إلى أنني كنت ألقى خطبة الصباح بالإذاعة المدرسية، وهذا كان يتطلب مني القراءة المستمرة.» (بندي، ٢٠١٠م: ٦٤)

درس الحزامي في مدرسة المرقاب، وبعد ذلك انتقل إلى منطقة حَوَلي، حيث درس الابتدائية، والمتوسطة هناك. وبعد أن أنهى المرحلة المتوسطة سافر عام ١٩٦٣م إلى لندن، و كان هناك دورة في اللغة الإنجليزية، وقد تكرر سفره عدة مرات، لإنجلترا لتعلم الإنجليزية. كما التحق بمعهد المعلمين، وتخرج عام ١٩٦٧م، كمدرس موسيقى بتقدير جيد جداً. واحترف التدريس، وفي عام ١٩٦٩م أخذ شهادة مركز الدراسات المسرحية. وأخيراً سافر إلى بريطانيا لدراسة الأدب، وعاد في الشهر الثامن لعام ١٩٧٥م وأخذ شهادة الليسانس في الأدب الإنكليزي قسم الدراما، وكانت دراسته تدور حول الأدب المسرحي الإنكليزي، كما أخذ ميدالية برونزية للخطابة، تتبع للكلية الملكية، وكان العربي الوحيد الذي يأخذ ميدالية في فن الخطابة، والإلقاء، والذي اختبره كان من كبار المسرحيين في العالم. وكان دوره، أو الخطبة التي ألقاها، مشهد راعي الإصطبل في مسرحية مكبث، وأخذ شهادة تقديرية، لكنه لم يستفد منها في التمثيل. وبعد تخرجه بدأ

قراءات فلسفية لديكارت، وسارتر، وغيرهما، واتجه بعدها للفلسفة الإسلامية، وإحياء علوم الدين للإمام الغزالي، وتهافت التهافت لابن رشد، مما أدى إلى نضوج عقله. (المصدر نفسه: ٥٨)

وبعد أن أصدر وزارة التربية نشرة، لحاجتها إلى مدرسين لغة إنكليزية، ولحبه بالإنجليزية، وإجادته لها، تقدم ضمن مجموعة، ونجح في الاختبارات الشفوية، والتحريرية. ثم ترك التدريس، واستلم برنامج إذاعة الطلبة حتى ١٩٨١م وانتقل إلى رئيس القسم، ومراقب للنشاط المسرحي، والثقافي في وزارة التربية حتى عام ١٩٨٢م. ثم انتقل إلى إدارة البعث، واستمر حتى فترة قبل الاحتلال بسنة، وعمل فيها حتى ١٩٨٩م. وعندما تم تأسيس وزارة التعليم العالي جرى اختياره ١٩٩٠م كمدير لإدارة التنسيق، والمتابعة للمعاهد الفنية. (المصدر نفسه: ٥٩)

فانتقل من وزارة الإعلام إلى وزارة التعليم العالي، وكان ينسق بين معهدى المسرح، والموسيقى العالميين. استمر في هذه المهمة إلى فترة طويلة، بعدها تم اختياره كمستشار لوزير التعليم العالي، وعمل مستشاراً إعلامياً للجنة الوطنية لدعم التعليم. وهذه اللجنة هي التي أسسها المرحوم أحمد الراعي وزير التربية، وأسهمت ولا تزال تسهم. فكان مستشاراً إعلامياً، وأصدروا مجلة التواصل. (المصدر نفسه: ٥٨)

تم اختياره في المجلس الوطني للثقافة، والفنون، والآداب كمستشار هناك، وقد اختاره الدكتور محمد الرميحي ١٩٩٨م أميناً للمجلس، وعندما عاد من خارج الكويت فاجأه، وطلب منه لقاء، فذهب إليه، فطلب منه تقريراً، حول سلسلة المسرح العالمي. والدكتور إسماعيل الوافي كان يشرف عليها، وعرض عليه أن يكون مستشاراً لسلسلة جديدة من إبداعات. لأنه اشترط أن يكون هناك أعضاء في هيئة التحرير، يعرفون اللغة، ويعرفون الترجمة. وقد وجد الدكتور الرميحي فيه القدرة على إشراف سلسلة الإبداعات العالمية، وصدر العدد الأول في نوفمبر ١٩٦٩م، وتم اختيار هيئة التحرير، كلهم من أصحاب اللغة: الدكتور أسامة الشطي، وزبيدة أشكاني التي تجيد ثلاث لغات، قراءة، وترجمة، وكتابة.

ومن أهم إنجازات الأستاذ الحزامي، أنه كَوَّنَ قاعدة من المترجمين الكويتيين، والعرب: ألماني، إيطالي، إنجليزي، فرنسي، الأردو (سليمان حنيفي)، واللغة الفارسية (زبيدة أشكاني). وأصبح لديه حوالي ١٦ مترجماً، من مختلف اللغات، واستطاعوا أن يترجموا نصوصاً من مختلف اللغات إلى العربية، ويذكر أنهم ترجموا أكثر من خمسة نصوص من الفارسية إلى العربية من بينها رواية (نون والقلم). (المصدر نفسه: ٥٩)

هذا العمل جعله يتعرف على الآداب الأخرى، مما جعله يقرأ كثيراً. كانوا يعطون النص، ويقرأه المترجم، ويعطيهم تقريراً عن النص. لقد استفاد كثيراً خلال عشر سنوات كمستشار. وعمل كعضو لجنة رقابة الكتب في وزارة الإعلام من ٢٠٠٥-٢٠٠٢م وهذه اللجنة يتم تغييرها من فترة لأخرى. استمر الحزامي عمله إلى أن تقاعد بعد خدمة دامت ٤٠ عاماً. (محمد صالح، ١٩٩٦م: ١٧٨)

استطاع الحزامي أن يقوم بإنجازات أخرى خلال الفترة التي كان يخدم الكويت، إذ أخذ شهادات، ودورات إذاعية، وإخراج وإعداد إذاعي، لأنه في الصيف كان يبقى في بريطانيا. وعنده أربع شهادات متخصصة في الإذاعة. كما عمل في الإذاعة كمُعدِّ برامج، وأخرج مسلسلات إذاعية (كباثة الخبز)، و(الناقة)، وأخرج (أمسية الأربعاء) لمدة سنتين، و (مع الطلبة) حول النشاط المدرسي، وعمل برامج باللغة الإنجليزية لمدة سنة: (ندوة الأسبوع)، و(همسة قلم)، و(ذكريات ديبلوماسية) لكن البرنامج الذي دائماً في ذهنه هو: (همسة قلم)، و(ذكريات ديبلوماسية) الذي استمر أكثر من ١٥ سنة. وعمل برامج تلفزيونية منها: (رجال الكويت)، و(حصار الأيام). وكلها وثائقية، وتسجيلية حوالي ١٥٠ ساعة. (بندبي، ٢٠١٠م: ٦٧)

أبرز نتاجات الحزامي

اشتهر الأديب الكويتي سليمان الحزامي بمسرحياته و«فن الحزامي المسرحي يتواصل بقوة مع الاتجاهات العالمية والتجريبية، ولا يتوقف عندما يطلق عليه القضايا الاجتماعية والهموم المحلية، وهذه النزعة الإنسانية الشاملة تنبع من ذاته واتجاه قراءاته.» (حسن

عبدالله، ١٩٩٦م: ١٣٩) كما «تتميز مسرحيات الحزامي، بأنها تستند إلى خلفية ثقافية واسعة. وكل مسرحية، تُكلفه سنوات عديدة من البحث، والتحضير. تنتمي مسرحياته إلى مسرح العبث، واللامعقول، والبعض الآخر ينتمي إلى الشكل التاريخي، مع الإسقاط على الحاضر. قرأ الحزامي المسرح، وفي الأدب العربي، والتاريخ، والسياسة، والشعر. كتب المقالة النقدية في المسرح، والاجتماع، كما كتب القصة القصيرة، ونشر معظم إنتاجه في الصحف المحلية، والمجلات النقدية.» (محمد صالح، ١٩٩٦م: ١٨٩)

ومن أهم ميزات مسرحيات الحزامي أنه يلجأ فيها «إلى التاريخ، يعيد صياغته مسرحيا، فيطوف من الأندلس، والمعتمد بن عباد إلى عصر الطولويين، والبذخ الذي يسقط الدول وصولا إلى الأحلام التي يحملها العظام من الرجال، فيكون المتنبى ركيزة هذا الحلم ليحط بعد ذلك عند عالم الأسطورة الشهرزادية في الليلة الثانية بعد الألف.» (الشطي، ٢٠٠٩م: ١٦)

مؤلفاته المسرحية

١. مدينة بلاعقول: صدرت عام ١٩٧١م عن دار العودة، بيروت.
٢. القادم: صدرت عام ١٩٧٨م عن دار ذات السلاسل.
٣. امرأة لا تريد أن تموت: صدرت عام ١٩٧٨م عن دار ذات السلاسل.
٤. يوم الطين: صدرت عام ١٩٨٢م عن دار ذات السلاسل.
٥. المسألة: صدرت عام ١٩٨٢م عن دار ذات السلاسل.
٦. بداية البداية: صدرت عام ١٩٨٩م عن دار الشراع العربي.
٧. الليلة الثانية بعد الألف: صدرت عام ١٩٩٨م عن دار ذات السلاسل.
٨. بداية النهاية: صدرت عام ٢٠٠١م عن دار الشراع العربي.
٩. بورشيا: صدرت عام ٢٠٠٦م.

وقد عُرضت بعض مسرحياته على مسارح الكويت مثل مسرحية: (مدينة بلاعقول) وإخراج دخيل الدخيل، والتي عرضت في مارس ١٩٩٠م، ضمن فعاليات مهرجان الدوحة

في دولة قطر. وحصل كاتبها على شهادات تقديرية، إذ حصل على شهادة تقديرية من قطر. وعرضت مسرحية القادم من إخراج عثمان عبدالمعطي في الكويت عام ١٩٩٠م، قبل الغزو الآثم.

كما عرضت مسرحية امرأة لاتريد أن تموت في الكويت عام ١٩٩٤م، من إخراج منقذ السريع الذي دخل عليها دخولا ناجحا، فوظف الإطار العام، والديكور، والأزياء، والحركة المسرحية بحيث استطاع أن يخلق نصا موازيا للنص. (الشطي، ٢٠٠٩م: ١٨)

وعرضت مسرحية عودة الجبرتي (بداية النهاية) على مسرح الشباب في الكويت، و هي من إخراج محمد الحداد عام ١٩٩٥م. وتعتبر شهادة من التاريخ لما حدث للكويت.» (المصدر نفسه: ١٧٩)

«و له بعض القصص القصيرة: الأصابع تنمو من جديد، نشرها في جريدة، الوطن المحطة، ورجل لا يريد أن يكون بطلاً، ودقائق، والرجل الذي لا يقول لا، وقد نشرت هذه القصص الأربع في مجلة (البيان) التي تصدر عن رابطة الأدباء بالكويت.» (المصدر نفسه: ١٨٠)

مسرحية بداية النهاية

تعتبر بداية النهاية قصة طريفة، كتبها الحزامي عام ١٩٧٣م. وكان تحت تأثير مسرح اللامعقول، وكتبها عندما حصل مناوشات حدودية من العراق على الكويت، وكان الحزامي آنذاك في إيطاليا، وكان يفكر أنه كيف يمكن لدولة عربية أن تعتدى على دولة عربية أخرى؟ كما تخيل مدينتين، مدينة كبرى، ومدينة صغرى، والمدينة الكبرى تهجم على المدينة الصغرى. (بندبي، ٢٠١٠م: ٩٥)

كان اسم المسرحية في بداية الأمر (عودة الجبرتي)، وهو الرجل الذي يأتي من الماضي، ليدافع عن الحق والحقيقة، إنه عاصر الغزو، والاحتلال الفرنسي لمصر، وشاهد الأحداث. كتب الحزامي هذه المسرحية وأودعها الدُّرج، وفي عام ١٩٩٠م عندما حدث الغزو، واحتل العراق الكويت لمدة سبعة أشهر، قرر أن ينشر المسرحية، فغيّر العنوان من

(عودة الجبرتى) إلى (بداية النهاية)، وحصل على هذه المسرحية، على جائزة التشجيع من هيئة الدولة ١٩٨٢م. كما حصلت هذه المسرحية على جائزة وزارة الإعلام. (المصدر نفسه: ٩٥)

نشاهد فى هذه المسرحية أحداثا، تبدو للإنسان أنه عاشها حيث يأخذ الإنسان إلى عام ١٩٧٣م. وللتأكيد على هذا نشير بإيجاز شديد إلى ملخص المسرحية.

المشهد الأول من الفصل الأول

يتجلى فى المشهد الأول حضور منجزات العلم الحديث فى عصر الفضاء، والصواريخ، وأبواق السيارات، وصور إطلاق صواريخ، ومركبة فضاء، وغيرها من معطيات العصر الحديث. جاء المؤرخ بالجبرتى من الماضى ليكشف الحقيقة. فى بداية الأمر يقوم المؤرخ بتقديم الجبرتى للحضور الموجودين فى القاعة. يشير إلى لباسه المختلف تماما عن لباس الآخرين. غير أن الجبرتى مندهش من العصر الحاضر. لم تكن أشياء هذا العصر موجودة فى عصره. إنه يواجه دائما أحاديث، وأشياء غريبة. الصبى الذى يبيع الصحف، وهو لقمة عيشه دون أن يدري الصالح من الطالح فى تلك الجرائد. يأخذ الجريدة من الصبى، وبعد أن يقرأ خبر انتحار القائد العسكرى فى مدينة ساسا يصير متعجبا. خاصة عندما ينتبه أن نائبه فى الحكم قام بقتله، وخرج على الناس قائلا: إن حاكمكم قد انتحر. ويزداد التعجب لدى الجبرتى من العلم الحديث، ومن أمر الناس فى العالم المعاصر، ففى العالم الحديث، تقرب المسافات. إنه يتأكد أنها صورة اجتماعية لم يعهدها فى عصره. (الحزامى، ٢٠٠٦م: ٩٣-١٠٠)

ويواجه الجبرتى فرجا، رئيس تحرير واحدة من أشهر الصحف فى العالم، وهو يعتقد أن قيام صديق حاكم ساسا عليه، وقتله يكون حدثا عاديا. كما يأتى:

الجبرتى: وما قصة ساسا هذه؟

فرج: إنه حدث عادى. رجل قام بانقلاب على زميله، وشريكه فى الحكم لخلاف فى طريقة الحكم.

الجبرتي: هكذا؟

فرج: نعم هكذا.

الجبرتي: والضحايا الذين سقطوا؟

فرج: إنها طريقة التغيير. فأنت عندما تريد أن تغير شيئاً أن تضحي بشيء آخر وهكذا.

ويقول إنه يعرف حاكم ساسا الجديد، إنه قوى الشخصية وهو أول صحافي يقابل هذا الحاكم الفذ. يقول الجبرتي بعد ذهاب فرج إن هذا الشخص قليل الفهم. ثم يطلب من المؤرخ أن يريه ما يحدث في ساسا. (المصدر نفسه: ٩٣-١٠٤)

المشهد الثاني من الفصل الأول

وفي المشهد الثاني أيضاً يشير إلى الأجهزة التي توجد في العصر الحاضر مثل: التلفزيون، والفيديو، والفكس. وتجدر الإشارة إلى أن حوادث هذه المسرحية تجري في نهاية القرن العشرين، أي قد مضى منذ وفات الجبرتي حتى هذا الزمان أكثر من مائة وسبعين عاماً أو أقل. يرى الجبرتي أن كل شيء يتم ببساطة في عالم اليوم. ويستمع إلى إلقاء خطابة الحاكم المستقبل لساسا، وهو يقول للشعب: أيها الشعب العظيم، لقد جاءكم النصر وذهب الفساد إلى غير رجعة، يا أبناء ساسا إن بلادكم ستنمو وتكبر. يعلم الجبرتي أن كل ما قاله الحاكم هراء، ولهذا يرثى للمعاصرين ولكن المؤرخ يقول: إنه نموذج للحاكم المستبد. (المصدر نفسه: ١٠٥-١٠٧)

المشهد الثالث من الفصل الأول

تجري الحوادث في هذا المشهد في مقهى شعبي في ساسا، حيث يزور الجبرتي عدداً من رواد المقهى. وهنا يتعرف على الضابط الذي ترك العمل في الجيش ويكتم سببه، حتى أمام زوجته، بسبب خوفه من عيون الحاكم. يذكر الضابط للجبرتي أنهم تحولوا إلى شعوب صامتة وحتى عند ممارسة الجنس في السرير لأنهم لا يتقنون زيجاتهم خوفاً

من المخبرات. وبعد فترة يزور المتسول الجبرتى، وفى المشهد الآخر نفهم أنه كان أحد عيون الحاكم بين الناس؛ ويقول للجبرتى: إنكم دولة غنية. وهنا يشير المتسول إلى غناء تاتا - وهى دولة محاذية قريبة لساسا - وثرواتها الهائلة بالرغم من صغرها. ثم يستفسر الجبرتى صحة هذا الموضوع من الضابط غير أنه يصرفه عن السؤال، ولكن الجبرتى يلح على الضابط وأخيرا يصرح الضابط على ما قاله المتسول. ويسأل المتسول سبب حضور الجبرتى، كما جاء فى الحوار التالى:

المتسول: لماذا ترتدى هذه الملابس (مستدركا)، عرفت من البعض أنك لست من سكان تاتا الأصليين؟

الجبرتى: أنا رجل قادم من التاريخ.

المتسول: سمعت ذلك ولكن لم أصدق.

الجبرتى: أنا عبدالرحمن الجبرتى، جئت من التاريخ لأشهد على عصركم.

المتسول: تأتى من الماضى لتشهد على الحاضر.

الجبرتى: نعم، وساءنى ما شاهدت.

الضابط: (لنفسه) لم تر شيئا بعد! (المصدر نفسه: ١٠٩-١١٢)

ويقول الضابط للجبرتى إن ذاك المتسول كان من المخبرات، ثم يريد منه أن يتخيل الحقيقة التى تجرى فى عالمهم. (وبعد أن ينظر الجبرتى بخياله، يضاء المنتصف الثانى من المسرح) وتظهر امرأة جميلة، شبه عارية فى يد غضبان. وهى بمثابة بوابة لوصول غضبان إلى ما يريد. لكن المرأة تقول إنها تريد التوبة والزواج معه، وتشير إلى أنها باعت ماء وجهها له ولغيره. وعدها غضبان أنه سيتزوج معها بعد إنجاز المهمة. والمهمة ليست إلا إقامة علاقة مع أدهم وزير الدفاع السابق فى ساسا. وفى النهاية تستسلم المرأة لما أراد غضبان، وقابلت مع الوزير أدهم، وهكذا يشير الضابط إلى كيفية تركه العمل بعد دسائس عيون الحاكم، لأن هذا الوزير ليس إلا الضابط الذى باح أخيرا بأسراره لدى الجبرتى، إذ قال: بعد انقلابات كثيرة جاء الحاكم الجديد، وشنق من شنق، وكنت ممن نالهم العفو بشرط ألا أتحدث وإلا فالموت بالمرصاد. (المصدر نفسه: ١١٨)

في هذا المشهد يقابل الجبرتي الحاكم، وهو يؤكد على أنهم يعيشون عصر الحضارة. وكل شيء ميسر، الحياة رغدة والناس يعيشون في أمان. ويؤكد الجبرتي على أنه يريد أن يسمع هذه الأحوال من الناس، لكن الحاكم خالف، قائلاً: أنا لسان الناس، أنا الشعب. ومن هناك بدأ الجدل بينهم. صدر الحاكم أمراً بأن يغادر الجبرتي ساسا فوراً، وحينما أراد أن يخرج مع المؤرخ من ساسا، فجأة جاء المتسول (جاسوس الحاكم) وألقى القبض على بعض الرجال الموجودين المختبئين في المقهى. والجاسوس يهدد المؤرخ والجبرتي أنهما إذا لم يغدرا ساسا، سيكون مصيرهما كالأخرين. (المصدر نفسه: ١١٣-١٢٣)

مشهد التعذيب

في مشهد التعذيب تفتح الستارة على أدهم مصلوبا، والرجل مقيد إلى عمود من الحديد، والمرأة مقيدة. وغضبان يقول لأدهم إنه نصحه، لكن أدهم لم يسمع النصيحة، وفي جوابه يقول أدهم: كنت تنصحنى حتى أبيع عرضي ولكنني رفضت طبعاً. وفي النهاية أطلق المتسول النار على الرجل والمرأة، وبينهما أدهم في حالة ذهول. (المصدر نفسه: ١٢٥)

المشهد الأول من الفصل الثاني

يحدث هذا المشهد في غرفة نوم في تاتا، الغرفة التي كانت فيه الجبرتي، حيث يدخل حاكم ساسا الغرفة فجأة. ويجري الحوار بينه، وبين الجبرتي عن الحوادث التي جرت في ساسا وتاتا. وأشار الحاكم بأنه يكون نابليون عصره، وصانع التاريخ، فما يريده أخذه ولن يلتفت إلى حوار، وأراد من فرج أن يكتب للناس بأن تاتا عادت لساسا. ثم يسأل الجبرتي الحاكم عن كيفية إلحاق تاتا إلى ساسا. والحاكم يرد أنها تم إلحاقها بالوحدة. والجبرتي يجيب أن الوحدة لا تكون في منتصف الليل، بل هي تكون في وضوح النهار. ويسأل الحاكم من الجبرتي سبب حضوره إلى عصره، ويقول الجبرتي: إنني أجيء لأشهد على عصركم، وعلى ما يحدث فيه. قال للجبرتي إن جيش حاكم ساسا يسيطر

على تاتا. والحاكم يطلق النار على المتسول. والجبرتى يقول للحاكم: إن الموت رخيص عندك. والحاكم يذكر أن العصيان من أوامره فى ساسا، وتاتا يعنى الموت. وفى نهاية هذا المشهد يجرى حوار بين المؤرخ والجبرتى، وهما يذكران أن الناس لاتصدق أن يتم ابتلاع الدول هكذا. (المصدر نفسه: ١٢٩-١٣٤)

المشهد الثانى من الفصل الثانى

يكون هذا المشهد فى المكان نفسه فى المشهد الأول من الفصل الأول، ويرى الجبرتى الصبى بائع الصحف، والحزن يلفه، كما كان يقول: ذهب الفرخ من يوم دخل الغزاة أرضنا. قتلوا أبى، وسرقوا البيت، وبينما تسمع طلقات النار، يقول الجبرتى للصبى: تذكر يا ولدى أن الظلم لا يدوم. سوف ترى إن حاكم ساسا يصعد للموت. تذكر يا ولدى أنك تستطيع أن تسرق شجرة، ولكنك لن تستطيع أن تسرق أرض البستان. (المصدر نفسه: ١٣٨)

وبعد خروج الصبى يقول المؤرخ للجبرتى: إنه يرى قلمه فى يده، ولكنه مكسور فى يده. ولا يعرف الكتابة لهول ما حدث. فيؤاسيه الجبرتى بهذا القول: إن ما يحدث فى بلدكم شىء بشع، ولكن لاتنس أن العالم يقف معكم. ثم يسير غضبان نحو سلوى، وهما وصلا إلى تاتا، يجرى بينهما حوار، حيث يقول غضبان لسلوى: سأخذ من هنا بعض الأشياء النادرة لبيت الزوجية، ولكن هناك طلب بسيط. وأراد منها أن يأخذها لحاكم تاتا الجديد. وغضبت سلوى من طلبه. وقالت إنها لن تذهب، لكن الضابط أشار إلى الجنود، وأخذوها بالعنف. وفى نهاية المشهد تطلق النار، على الصبى، ويخرج الجبرتى من مكانه ليحتوى الصبى الذى ينزف. والجبرتى يقول للمؤرخ: حتى الطفولة، لم تسلم منهم، لم يبقوا شيئاً للمستقبل، إنهم يقتلون المستقبل بقتل الأطفال. (المصدر نفسه: ١٣٩-١٤٢)

المشهد الثالث من الفصل الثانى

وبعد جرح الصبى، أخذه الجبرتى إلى بيته لتجرى عليه محاولات إنقاذه، ويقول

الجبرتي: إن المواقف التي شاهدها في تاتا، وساسا لم تمر في حياتي، ولم أقرأ عنها، أي من الحكام الذين يعيشون لنفسهم فقط.

فجأة يدخل الضابط رعد، بأمر من الحاكم ليأخذ الصبي، باعتباره عنصراً من عناصر المقاومة، إلا أن الجبرتي لا يسمح له بأخذه، وحينئذ يقتل الضابط الصبي برصاصة، حتى يأتي الجبرتي معهم، ولكنه يرفض، إلى أن يأتي الحاكم. ويجرى حوار بين الجبرتي والحاكم، حيث يقول الجبرتي للحاكم: سوف تموت أيها الحاكم، أنت ميت منذ سنوات، وتأكد موتك يوم غزوت تاتا. أنت جثة بلاكفن، أنت جثة يأكلها العفن. إن جرائمك أيها الحاكم تصرخ في وجه التاريخ. وعندئذ يسحب الحاكم مسدسه، يوجهه نحو الجبرتي. ولكنه يعجز عن قتل الجبرتي إلى أن يقتحم عدد من رجال المقاومة البيت، مطلقين النار على الحاكم، وتصيب إحدى الرصاصات الحاكم، فيفر ومن معه مصاباً بجرحه. ومن هنا تبدأ البداية للشعب، والنهاية على الحاكم المغرور. (المصدر نفسه: ١٤٨)

أسلوب الحزامي ولغته في المسرحية

يستفيد الحزامي من الملاحظات بين القوسين، لتعليمات أو إرشادات مسرحيته التي تساعد الممثلين في تصرفاتهم وسلوكهم بالإضافة إلى أنها يساعد في توضيح نفسية القائل. فالكتاب عادة يضعون في حساباتهم أنهم يكتبون المسرحية لثُمَّتِل، وتُعرض، وليس لمجرد القراءة؛ واهتمامهم في كتابتها بالتعليمات الموجهة للمخرجين، والممثلين دليل واضح على هذا. (الجبوري، ١٩٨٧م: ١٥٠) ولو أرادوا لها أن تقرأ فقط لما اهتموا بهذا كله؛ والمسرحية «لا يتم وضعها الفني الحقيقي إلا حين تمثل على خشبة المسرح». (إسماعيل، ١٩٧٨م: ١٧٧)

كما مزج الحزامي في مسرحيته بين الخيال، والواقعية دون تعقيد وغموض، أو المبالغة في الإغراق. فاتخذت مسرحيات الحزامي، الشكل السياسي الواقعي جداً، الذي يمس حياة الشعب اليومية. تتصف مسرحية بداية النهاية بالجد والوقار، فلم يخرج فيها كاتبها عن الجادة التي التزمها الكتاب المسرحيون، والتزم في كتابتها أسلوباً دقيقاً.

فأسلوب الكاتب بسيط، يخلو من الصور البيانية المتكلفة، ويخلو من الصنائع اللفظية، التي تتمثل في التوازن أو السجع. ولغته فصيحة نقية، بخلاف اللغة العامية التي كانت سائدة في بعض المسرحيات. أي كل الأشخاص في المسرحية يستخدمون الفصحى في حديثهم. والعربية الفصحى لغة لها غناها، وثروتها اللفظية المتعددة، والمتنوعة.

مسرحية بداية النهاية؛ دراسة، وتحليل

عرفنا الجبرتي في هذه المسرحية كرجل جاء من تاريخ الماضي. إنه عنصر حيادي لا يقول إلا الحق. والحزامي «يستحضر المؤرخ الجبرتي، ويطوف به داخل مدينة يتحكم في مصائرها حاكم مستبد بشعبه، يثور الشعب، ويقف الجبرتي شاهداً على أن بداية النهاية لهذا الحاكم قد بدأت بالفعل.» (حجاوي، ٢٠٠٣م: ٤٨٧) وإذا كانت المسرحية شهادة تاريخية لما حدث للكوييت، فإن البلدين اللذين ذكر اسمهما في النص ساسا وتاتا، رمزان للعراق والكوييت، وهناك شواهد كثيرة في النص تنم عن هذا الأمر. يتطرق المؤرخ إلى بعض منجزات العلم الحديث في هذا العصر. فهناك التلفزيون، والفيديو، والفكس، وأبواق السيارات، والصواريخ، والمركبات الفضائية؛ وهذه الإشارة جاء بها الكاتب ليؤكد على أصالة عنصر التاريخ في الجبرتي.

وإلى جانب مظاهر العصر الحديث يتناول الحزامي بعض القضايا الاجتماعية والسياسية، إذ يشير الجبرتي إلى غرابة الأمور في مدينة ساسا، فإنه عاش في هذه المدينة في العصور الماضية ولم يشاهد هذه المساوي الاجتماعية؛ يرى أن الأطفال لا يمكنهم أن يعيشوا حياة سعيدة في هذه المدينة، لأن الفقر جعلهم أن يبيعوا الصحف، دون أن يعرفوا شيئاً عن مضامينها. يرى استبداد الحكام، وأنانيتهم للوصول إلى الحكم، فالقتل حدث عادي رخيص لدى حاكم مدينة ساسا، وهذا الأمر تسرب حتى إلى وسائل الإعلام، فالصحافيون يبررون تصرفات الحاكم الشنيعة لأنهم مقربون من المستبد.

الاستبداد جعل الناس خائفين في المجتمع، وفي المقاهي، وفي ديارهم، وحتى في السر، لأنهم لا يثقون بزيجاتهم خوفاً من المخابرات. فالحاكم المستبد بعث عيوناً بين

الناس وهؤلاء المرتزقة لا يؤمنون بشيء ولا يراعون أبجدية المبادئ الأخلاقية. يخدع المرتزقة، النساء الساذجات، وهن ينخدعن أمام الوعود الكاذبة. يصور الحزامي مجتمع العراق آنذاك بشكل وصل الاستبداد إلى ذروته بحيث يعتقد الحاكم أنه لسان الشعب. جعل الكاتب مشهدا خاصا للتعذيب وهذه تقنية فنية في المسرحية لجأ الحزامي إليها ليدل على مدى قسوة الدكتاتور العراقي لشعبه وللآخرين وما ارتكبه في سجونته المخيفة من جرائم وممارسات لا إنسانية.

لا يخفى أن القارئ الفطن عندما يتابع أحداث هذه المسرحية يستوعب أنها إشارة واضحة إلى العراق في عهد الدكتاتور، كما يدرك نبوءات الحزامي في هذه المسرحية. أدرك الكاتب أن الظلم لا يدوم، وأن الاستبداد زائل لا محالة.

ترمز مدينة تاتا إلى الكويت، كما أشرنا سابقا، والكاتب أدرك مطامع العراق منذ أمد بعيد عندما حصل مناوشات حدودية من العراق على الكويت عام ١٩٧٣م إذ تخيل مدينتين: مدينة كبرى ومدينة صغرى، والمدينة الكبرى تهجم على المدينة الصغرى. والمسرحية تمت كتابتها آنذاك إلا أنها أبصرت النور عام ١٩٩٠ عندما تحققت نبوءات كاتبها متجلية في الغزو الآثم للكويت. ويمكننا أن نعرف مدى طمع الدكتاتور في الكويت من خلال ما قاله المتسول باعتباره أحد عيون الحاكم، فإنه يشير إلى غناء تاتا وثوراتها الهائلة بالرغم من صغرها، ويثبت هذا القول كون المتسول جاسوسا مقربا من الدكتاتور إذ يعرف مطامعه العدوانية.

بدا للدكتاتور أنه نابليون عصره، وصانع التاريخ كما يدعى أنه استطاع إلحاق الكويت إلى العراق بالوحدة، ولكن الجبرتي يسكته بإجابته أن الوحدة لا تكون في منتصف الليل بل هي تكون في وضح النهار. وهذه إشارة إلى غزو الدكتاتور لدولة الكويت قبيل الفجر؛ كما أنها تدل على أن الحزامي أعاد النظر في مسرحية عودة الجبرتي، وأشار بشكل مباشر إلى هذا الغزو العدوانى بالإشارة إلى عنصر الزمن بصورة محددة.

وهكذا نرى أن الفكرة الأساسية التي بنيت عليها المسرحية هي الدعوة إلى التحرر وانهدام الظلم، وتتجه حركة المسرحية نحو فشل القوة، والظلم، والتعدى في تحقيق

الأهداف الإنسانية. كما قال الجبرتي المؤرخ: المواقف التي شاهدها في تاتا وساسا لم تمر في حياتي، ولم أقرأ عنها. أى نوع من الحكام هذا الرجل؟ أمجنون هو؟ طاغية؟ يبدو لى يا صاحبي أنه لا يقيم وزناً لأى شيء! إنه يعيش لنفسه فقط! (الحزامى، ٢٠٠٦م: ١٤٣)

إن بداية النهاية يتناول الحزامى فيها موضوعات سياسية، واجتماعية، وإنسانية مختلفة يقتبسها من التاريخ، ليعبر من طريقها عما في نفسه من الأفكار، والحوادث من الحياة الحاضرة. وهذا الاتجاه الواقعي الذي لمسناه في مسرحية بداية النهاية إلى واقعية أكثر عمقا بعد الغزو الآثم للكويت.

وفي هذه المسرحية يلجأ الحزامى إلى تاريخ المدينة التي يتحكم في مصائرها حاكم مستبد بشعبه، فيستحضر الكاتب الجبرتي، وهو يطوف به داخل مدينة، ويصور كل القضايا الموجودة في المجتمع. يصمت الشعب في بداية الأمر إلى جانب ظلم الحاكم، والفقر، والفساد لكن بعد إرشادات الجبرتي، والحوادث التي تجرى أثناء المشاهد يثور الشعب، ويقف الجبرتي صامدا حتى يرى نهاية الظلم، وبداية الشعب.

وحاول الحزامى فيها أن يقدم الدراما الواقعية الاجتماعية من خلال التركيز على الجانب الانتقادي، فقدم فيها لوحات متعاقبة من حياة شخصيات عديدة (الصبي، سلوى، فرج، المتسول) وأراد من خلال علاقة هذه الشخصيات ببعضها أن يكشف عن الواقع الاجتماعي.

فهناك معنيان أساسيان دارت المسرحية حولهما: الحرية، والإنسانية. لقد حملت المسرحية الكثير من المضامين الجديدة التي ركزت على بؤر حارة في موضوعات حياتية (بيع الصحف عن طريق الصبي، العلاقة بين غضبان وسلوى، اعتماد فرج على الحاكم للوصول إلى مقاصده، و...).

لا توجد فواصل بين الأزمنة والأمكنة، فالماضي، والحاضر، والمستقبل تجتمع كلها في وقت واحد، لكن الشخص الوحيد الذي احتلّ مكانين في المسرح هو الجبرتي الشخص الذي جاء من الماضي ليعيش في الزمن الحاضر.

الهدف من المسرحية

إن الحزامي يريد بكتابة هذه المسرحية أن يصحح الصورة المترسمة في أذهان الشعب. فهذه هي مهمة الكاتب لكتابة هذه المسرحية، وأراد أن يتخذ من الصراع بين الجبرتي، والحاكم عينة على اعتراض الناس على التعسف، والظلم. تعد المسرحية صوت الحزامي الذي رفعه معترضاً بالاستبدادية، والفساد، وتضعيف القيم.

وقد سعى الحزامي إلى امتناع بعض شخصيات المجتمع المعاصر بلقاء الجبرتي في مدينة ساسا مع الحاكم والأوضاع الاجتماعية. كما قصد المؤلف بهذه المسرحية، تصوير الفساد الذي عم ساسا في مطلع هذا القرن، وكان للحكام الظالمين من أثر في خلق هذا الفساد، ونشره بين الطبقات عامة.

أراد الحزامي من خلال رسم شخصيات هذه المسرحية أن يقول لجميع الناس أن الاعتماد على القوة وحدها ليس كافياً، فالحرية هي الأساس لكل حياة جميلة، ومقبولة. فقد أراد من خلالها أن يقارن ويناقش بين ساسا في اليوم الحاضر، والقديم أي زمن الجبرتي، لأن بعض التغييرات الاجتماعية تأثرت على القيم الأخلاقية. كما يسعى أن يصور مشكلات ذات أهمية، كأجور العمال، وحقوق المرأة، والقتل والعنف في العراق أيام الاستبداد.

وغاية القول إن الحزامي استطاع أن يصور إمكانيات الفعل المسرحي في تثقيف الناس، وفي التأثير في أحوالهم، وأفكارهم، واتجاهاتهم. وقد نجح الحزامي في تصوير الجبرتي، والحاكم من أجل تحقيق هدفه الذي يسعى إليه، ووفقاً في تصوير قدرته على معرفة الواقع الاجتماعي، والسياسي، والانطلاق منه إلى التفاؤل بالمستقبل.

مدى نجاح الكاتب

قدم الحزامي في هذه المسرحية طريقتة في رسم الشخصيات، وعرض القصة فنجح الحزامي في بث أفكاره. فمسرحيته هي الأداة أو الوسيلة التي يضمنها الحزامي مجموعة أفكاره، ونظرياته سواء السياسية منها أو الاجتماعية. إنها الوعاء الذي يتضمن الأمانى،

والأحلام، والرغبات التي يقوم بتجسيدها.

هكذا نرى الحزامي قادراً على خلق الشخصية الإنسانية في رواياته، وعلى إعطائها الجانب الحي، وعلى توفير الصراع بين الشخصيات، وتحقيق عنصر الإثارة الذي يجعلها مسرحية ناجحة، وأن يعتمد في كل ذلك على أسلوبه الجديد. وما فلسفته، وما حوارها إلا وسائل برفقة، للتعبير عن شوقه لخدمة البشرية، وإنقاذ الناس من ظلم الحكام. قد استطاع الكاتب فيها أن يعرض أهدافه بصورة من الصور عن الحرب العراقية مع الكويت وتأثيره في المجتمع الكويتي.

النتيجة

مسرحية بداية النهاية التي هي النص الفائزة بجائزة الدولة التشجيعية عام ٢٠٠١م، كتبها الأديب الحزامي عام ١٩٧٣م وبعد الغزو العراقي الأثم قام بنشرها بعد أن قام بإعادة النظر فيها. وهي انعكاس طبيعي للموضوعات السياسية، أو الاجتماعية، ويتجه الأديب فيها إلى الوعي الاجتماعي الجديد، والصراع بين الطبقات، أو الصراع بين الناس، والحاكم الظالم. تعد المسرحية صوت الحزامي الذي رفعه معترضاً بالاستبدادية والفساد و تضعيف القيم.

نرى الحزامي قادراً على خلق الشخصية الإنسانية في رواياته، وعلى إعطائها الجانب الحي، وعلى توفير الصراع بين الشخصيات، وتحقيق عنصر الإثارة الذي يجعلها مسرحية ناجحة وأن يعتمد في كل ذلك على أسلوبه الجديد. والشخصيات التي يقدمها لا تختلف في شيء عن الشخصيات التي تقابلها في الحياة اليومية. والمواقف التي يضع فيها هذه الشخصيات، عادية أيضاً، ليس فيها ما هو خارج عن المألوف، والحوار أيضاً عادي ليس به ما يميزه عن الحوار اليومي وفي كل مسرحية من مسرحيات الحزامي، نجد - غالباً - موضوعاً للمناقشة حول فساد الحكم، والسياسة، ونكبة الشعب، والصراع بين القدرة. وهذه المسرحية نوع من المسرحيات التي تهدف إلى إثارة الانفعالات الشديدة بين الفصلين تنتهي إلى نهاية سعيدة أي انهزام الظلم، وظفر الحقيقة.

المصادر والمراجع

- إسماعيل، عز الدين. ١٩٧٨م. الأدب وفنونه. القاهرة: دار الفكر العربي.
- بندبي، زهرة. ٢٠١٠م. رسالة جامعية عن نتائج الحزامي لم تبصر النور. لانا.
- الجبوري، يحيى. ١٩٨٧م. المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية. قطر: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- حجاوي، غادة وإلياس البراج. ٢٠٠٣م. الأدب في الكويت خلال نصف قرن. مطابع الملك: الكويت.
- الحزامي، سليمان. ٢٠٠٦م. مجموعة الأعمال الكاملة (ثلاثة أجزاء). الطبعة الثانية. دولة الكويت: مكتبة الكويت الوطنية.
- حسن عبدالله، محمد. ١٩٩٦م. المسرح الخليجي تأثره بالمسرح العربي والعالمى. الكويت: رابطة الأدباء في الكويت.
- الشطى، سليمان. ٢٠٠٩م. المسرح في الكويت. الطبعة الأولى. الشارقة: الهيئة العربية للمسرح.
- محمد صالح، ليلي. ١٩٩٦م. أدباء وأدبيات الكويت. الكويت: رابطة الأدباء في الكويت.

پښتونخواه علمون انساني ومطالعات فرہنگی
پرتال جامع علمون انساني